هو الله

و« هو »ضمير عائِد على الله جل جلاله ولِشِدَّة ظهوره فإذا قلت : « هو » أيْ هو الله ، وتقريباً لِهذا المعنى من أذْهانِكم نضرب مثلاً : قد يكون في بيْتٍ أو في معْمَل أو في مدْرسة ، أو في مُسْتَشْفى أو في مؤسسة شخْصٌ كبير هو كلُّ شيء ، فَلَوْ تتبَّعْت أقْوال من هم دونَهُ تجدهم يقولون : ذهب ، جاء ، وما أراد ، فكلُّ الأفْعال التي يُغْفَل فاعِلها يُقْصَد منها هذا المدير العام الذي هو كلُّ شيءٍ في هذه الدائرة ، « هو »من أسْماء الله الحُسنى ، وهو ضمير غائبٍ يعود على الله عز وجل ، وبِالمناسبة الضمائر لها في اللغة شأنٌ كبير ، فهي أسماء معْرِفة ، وكُلكم يعْلم أَنَّ بعض النُّحاة قالوا :

إنَّ المعـارِف سَبْعـةٌ فيهـا كَمُـل أنا صالِحٌ ذا مَا الفَتى ابني يا رجل

« **هو** »من الأسماء التي تُعَدُّ معْرِفَةً سأُلْقي على مسامِعِكم نصاً من دون ضمائر من أجل أن تعرِفوا قيمة الضمائر :

« أرْسل قَيْصر مِلِك الروم رسولاً إلى عمر بن الخطاب ، لِيَنْظر الرسول أفْعال عمر بن الخطاب ، ويُشاهد الرسول أحوال عمر بن

الخطاب فلما وصل المدينة سأل أهل المدينة : أين مِلك أهْل المدينة ؟ فقال أهل المدينة : ليس لأهل المدينة مَلِك بل لأهل المدينة أمير » .

فهذا نصٌّ غير معْقول لأنه لم نسْتَخْدِم فيه الضمائر أما لو قلنا : أرسل قَيْصَر ملك الروم رسولاً إلى عمر بن الخطاب لِيَنْظر الرسول أفْعالَهُ ويُشاهِد أحْوالَهُ ، فلما دخل المدينة سأل أهْلَها أينَ مَلِكُكُم ؟ فقالوا : ليس لنا ملَكٌ بل لنا أمير .

شتان بين النص الأول والنص الثاني ، فالأول لا يُحْتَمَل لِكَثْرة التّكْرار ، على حين أن النص الثاني يحْوي ضمائر مُسْتَتِرة وضمائر ظاهرة ، وأخرى تُشير إلى المُتكَلِّم والمخاطب والغائب وضمائر مفْردة ومثناة وجمع ، فجاء سليماً ومقبولاً ومريحاً للذوق والفهم .

فالضمير اسم معرِفة ، يعود على معْرِفَةٍ أيْضاً ، فالذي يُشير إلى معْرِفة يعدّ معْرِفة ، « هو » ضمير عائِدٌ على الله جلَّ جلاله ومعناهُ حاضِر لا يغيب ، والله جل جلاله مع كلِّ إنْسان بِعِلْمِهِ ، ومع المؤمن بِتَوْفيقِهِ وحِفْظِه وتأييدِهِ ونصْرِهِ ، وهذه حقيقةٌ ذكرْتُها كثيراً حينما يقول الله عز وجل : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ، « **أيْ معكم بِعِلْمِهِ مع العاصي والفاجر ومع الكافر ومع المُلْحِد** » ، ولكن حينما يقول الله عز وجل : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ و﴿ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ .

هذه معِيَّةُ تأييد وحِفْظٍ ونصْرٍ وتوْفيق ، إلا أنَّ هذه المعِيَّةَ لها ثمَنٌ كبير . وقال الله تعالى :

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ

وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة : ١٢] .

ادْفع الثمن واقْبَض النتيجة ؛ فأَقِم الصلاة وآتِ الزكاة وانْصُر الحق وكُن مع المؤمنين ، فَسَوْف تقْطِف ثِمار هذه الطاعة مَعِيَّةَ ربك جل جلاله حِفْظاً وتأييداً ونصْراً وتوْفيقاً .

قال بعض العلماء : « هو » عند أهْل الظاهر مُبْتَدأٌ يحْتاج إلى خبر لِتَتِمَّ الجمْلة ، وعند أهْل القلوب لا يحْتاج إلى خبر فَهُوَ مُبْتَدأ وخبَر .

إذا جاء إنسان ، وقلنا من الذي جاء ؟ تقول : أحمد ، فَأحمد كلمة مُفْردة ولكنها تُشير إلى خبر ؛ الذي جاء هو أحمد ، فإذا قلت الله ؛ أي : خالِقُنا الله ، ومُرَبينا الله ، ومُبْدِعنا الله ، ومُوَفِّقُنا الله ، مُعطينا الله ، ورازِقنا الله ، ومُعِزُّنا الله ، فَكَلِمة الله لو جاءت مُفْردةً تعني خبراً فكلِمة (هو) عند أهل الظاهر تحْتاج إلى خبر وفي آياتٍ كثيرة : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر : ٢٢] .

لكن عند أهل الحقيقة « هو » لا تحْتاج إلى خبر ، فَهِي مبتدأ وخبر لأنها تُشير إلى الله عز وجل .

وبَعْضُهُم قال : « هو » الهاء تخْرُج من أقْصى الحَلْق وهو آخر المخارج في الفم ، والواو تخْرج من الشَّفَة ، ففيها آخر حرْفٍ وأوَّل حرْف قال تعالى :

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد : ٣] .

حرف الهاء آخر حرْفٍ في الحَنْجَرة ، وحرف الواو أوّل حرف بين الشَّفَتين وهو اسْتِنباط لطيف .

هناك أشياء كثيرة حول هذا الاسم ؛ قبل أن نَمْضي في الحديث عن تفاصيلِها يجب أنْ أَضَع بين أيْديكم الآيات الكثيرة التي وردت فيها كلِمة « هو » .

ففي البقرة قال تعالى :

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

هُوَ تعود على الله جل جلاله ، وفي فاتِحة آل عِمران :

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران : ٢] .

وفيها أيْضاً قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ٦] .

ففي أثناء الحديث عن الله عز وجل تقول لأخيك المؤمن مثلاً : هو الذي أكْرَمَنا ، وهو الذي أَمَدَّنا ، وهو الذي وَفَّقَنا ، وهو الذي أعْطانا ؛ هو ربنا وخالِقُنا ومُعِزُّنا والمُوَفِّق والواحد الأحد ، وفي الكَوْن حقيقةٌ هي أصْل كلِّ الحقائق ، ومَوْجودٌ هو أصْل كلِّ مَوْجود ، وهو : الله عز وجل وأيُّ شيءٍ قَرَّبَك إلى الله عز وجل فهو الخير والصلاح والفلاح والنجاح ، وأيُّ شيءٍ أبْعَدَكَ عنه فهو الشر .

فَمُلَخَّص المُلَخَّص أنَّ الله سبْحانه وتعالى هو كلُّ شيءٍ ، فأيُّ شيءٍ قرَّبَك إليه فهو الخير والحق والنجاح والفلاح ، وأيُّ شيءٍ أبْعَدَك عنه

فهو الباطِل ، لذلك كثيراً ما يسْتَخْدم المسْلِم في حديثِهِ اليَوْمي كلِمَة « هو » هو الله ، قال تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران : ٧] .

وقال تعالى :

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨] .

ومن ثَمَّ ؛ فلابُدَّ من ضرْب بعض الأمثِلة ؛ لوْ أنَّ شرِكَةً تقَدَّمَت بِمُناقَصَةٍ كبيرةٍ جداً ، وأرادَت أنْ تُعَرِّف الشركة بِحَجْمِها وقُدْرَتِها وإبْداعِها وخِبْرَتِها وإمْكاناتِها وحِكْمَتِها ، وتُقَدِّم صورةً للمشْروع وتقول هذه الشركة : هي التي صنعت هذا المصْنع ـ دقِّق ـ وهي التي أنْشَأتْ هذه المُنْشَأة ، وهي التي بنَتْ هذا الجِسْر ، وهي التي أنْشأت هذا المُسْتَشْفى ، وهذا السَّدّ ، وهي التي فعلت كذا ، وهي التي فعلت كذا وكذا ؛ أعَرَفْتَها من هي ؟ أعَرَفْتَ حجْمَها وإمْكاناتِها وقُدْراتِها ؟ هذا مَثَلٌ للتقْريب قال تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤] .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [غافر : ٦٨] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨] .

أَعَرَفْتَهُ من هو ؟ هو الله ؛ الله هو الرزاق والخالِق والبارىء والمُصَوِّر وهو المعِزّ والمذِلّ .

أعود وأُكَرِّر تقْريباً للحقيقة : في أيِّ مكانٍ أو مُجَمَّع أو دائرة أو مُؤسَّسة قد يكون هناك شَخْص مِلْء السمع والبصر وهو كلُّ شيءٍ ولا يُبْرَم أمرٌ دونه ، وكثيراً ما نسْتَغْني عن ذِكر اسْمِه ونقول : « هو » هو الذي أراد ، عَرَضْنا عليه الأمر فلم يُوافق ، وتقول : سَيَأتي ، وذَهب ، فمن هو ؟ مِن شِدَّة ظهورِه أغْفَلْتَ اسْمَهُ واسْتَعَضْت عن اسْمِهِ بِضَمير ؛ فَلِذلك ؛ الله جل جلاله عند المسلم وعند المؤمن حياتُهُ ومماتُهُ وتَوْفيقُهُ وتأْديبُهُ ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾[الأنعام : ٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٣] .

وقال تعالى :

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام : ١٧] .

وهناك آية أخرى :

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس : ١٠٧] .

﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ ﴾ وقال تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٨] .

أَعَرَفْتَهُ من هو ؟ هو القاهِر فوق عِبادِه وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ ويقول أيْضاً :

﴿ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٥٧] .

لو أنَّ الإنسان تتبَّعَ كلِمة « هو » في القرآن الكريم لَجَمَّع من آياتٍ كثيرةٍ وردت فيها كلِمة « هو » بَحْثاً كبيراً ودقيقاً جداً فهو الذي فعل كذا وكذا ؛ هو الحكيم وهوالقاهِر وهو الرحيم والرزاق والجبار والمُتكَبِّر والمُنْتَقِم والمُذِلّ ؛ أَعَرَفْتَهُ ؟ هو الله جل جلاله ، قال تعالى :

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

وقال تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٦٠] .

والآيات التي تتحَدَّث عن اسم الله « هو » كثيرةٌ كثيرة بل إنَّ مُعْظم آيات القرآن الكريم تنْطوي على كلِمة « هو » . بعْد هذا الشرْح الطويل هل عرَفْتَ الله ؟ فإذا قُلْتَ عرَفْتُهُ فماذا فَعَلْتَ من أجْلِهِ ؛ هل والَيْتَ فيهِ ولِياً ؟ وهل عادَيْتَ فيهِ عدُوّاً ؟ وهل أَعْطَيْتَ لله ؟ وهلْ منَعْتَ لله ؟ وهل غضِبْت لله ؟ وهل رضيتَ لله ؟ وهل تحَرَّكْت لله ووقَفْتَ له ؟ وهل تَكَلَّمْت لله ؟ وهل سكَتَّ لله ؟ فالثمرة التي ينْبغي أنْ تَقْطِفها من

معْرِفة الله هي الخُضوع لله ، وكنت قد ذكرْت من قبل أنَّ التسْبيح هو التَّمْجيد والتَّنْزيه ، ولا معنى للتَّمْجيد وللتَّنْزيه دون الخضوع لله عز وجل كما أنَّه لا معنى أنْ تُطيل الحديث عن كلِمة « هو » دون أنْ تَخْضَع له .

كلِمة « هو » ورد كثيراً في سورة الأنْعام حتى زاد ذِكْرُهُ على عِشْرين مرَّة ؛ ولا بدّ أنْ أُعَرِّف القراء الكرام وأذكِّرهم أنَّ أسْماء الله الحسنى على نوْعَين : نوْعٌ وردت فيه أحاديث رسول الله ﷺ ، ونوْعٌ اسْتُنْبِط من القرآن الكريم في الأنعام مثلاً عِشْرين مرة وردَتْ كلِمة هو وفي الأعراف قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٥٧] .

وها نحن أولاء نقف عند التطبيق العمَلي ، لو نظرْت إلى السماء فَرأَيْت فيها سحاباً مُمْطِراً ؛ ماذا تقول ؟ المؤمن يقول : هو الذي أرْسَل هذا السَّحاب ، وهو الذي أنزل هذا المطر ، وهو الذي حرَّك هذه الرياح وفَجَّر هذه الينابيع ، وهو الذي أنْبَتَ هذا النبات وجعل هذه الأشْجارَ تُثْمِر « هو » فلا يرى المؤمن في حياتِهِ إلا الله ، وهذه كما قال عنها العلماء وحدة الشهود ؛ كلما نما إيمانُك ترى الله وراء كلِّ شيء ، وكلَّما ضَعُفَ إيمانُك تُحْجَبُ عن الخالِق بِالخلق ويُحْجَب الإنسان عن المُنْعِم بِالنِّعمة ، فما الفرق بين المؤمن والكافِر ؟

الكافِر مع النِّعْمة ولكنَّ المؤمن مع المُنْعِم ، والكافِر يقول أنا

وفلان وعِلان وزَيْد وعُبَيْد ومال وطعام وشراب وبيْت ، أما المؤمن فيقول : هو الذي تَفَضَّل عليَّ بِهذا البيْت ، وهو الذي مَنَحني هذه الصِّحة ، وهو الذي أعْطاني هذا العَقْل ، وهو الذي أكْرَمني بِهذه الزوْجَة ، وهو الذي وهَبَني هؤلاء الأولاد ومَكَّنَني في الأرض ، وهو الذي رزقني ، وهو الذي عَرَّفَني ذاته ، وهو الذي دلَّني عليه فكُلُّ شيءٍ « هو » ، والكافِر لا يَفْتَأُ يقول : أنا أنا لِذلك أنا ونحن ولي وعِنْدي أربَعُ كلِماتٍ مهْلِكات وفيها شِرك ؛ أنا خيرٌ منه قالها إبْليس فأَهْلَكَهُ الله . ونحن أولو قوة وأُولو بأسٍ شديد ، قالها قوم بلْقيس فأهْلكهُم الله ، وقارون قال : إنما أوتيتُهُ على عِلْمٍ عندي ، فأَهْلَكَهُ الله عز وجل ، وفِرْعون قال : أليْسَ لي مُلْكُ مِصْر ، فأَهْلَكَهُ الله عز وجل ، إذاً المؤمن يقول : « هو » ، والكافِر يقول : « أنا » والمؤمن مع المُنْعِم ، والكافِر مع النِّعْمة ، والمؤمن نسب النِّعمة إلى المُنْعِم ، وتَجاوَز الخلق إلى الخالِق ، وعبَر من النِّظام إلى المُنَظِّم ، ودخلَ من التسْيير إلى المُسيِّر ، ورأى النِّهاية والأول والآخر ، ورأى الله أوَّل كلِّ شيء ، ورأى الله جلّ جلاله نِهايَة كلِّ شيءٍ .

قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ، هذه الكلِمة لها عند أهْل الحقيقة شأْنٌ كبير « هو » ، فأحْياناً في اللغة العربيَة قد يُحْذَف الفاعِل أوْ يُبْنى الفِعل للمجهول ؛ تقول : كُسِر الزجاج ، فالفِعل كُسِر فِعْلٌ ماضٍ مبني للمجهول ومتى يُبْنى الفِعل للمجهول ؟ .

قالوا : إذا لم نعْرِف الفاعِل ، أو إذا خِفْنا على الفاعِل ، أو إذا

خِفْنا منه ، فإنْ خِفْنا منه نُخْفِهِ ، وإنْ خِفْنا عليه نبْنِهِ للمجهول ، وإن كان مجْهولاً نبنه على المجهول ، أما في الحالة الغريبة جداً فإنه يُبْنى الفِعْل للمجهول حتى ولو كان الفاعل واضِحاً ، وكان وُجودُهُ صارِخاً قال تعالى :

﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء : ٣٧] .

من الذي خلقَهُ ؟ هل يوجد إلهٌ غير الله ؟ لأنَّ الله هو الخالِق ولك أنْ تقول خُلِق الإنسان من عَجَل ؛« فَخُلِقَ » تُشير إلى أنَّ الفِعْل مبْني للمجهول ، وإحدى العِلَلِ للبِناء للمجهول شِدَّةُ ظهور الفاعِل فَشِدَّةُ ظهورِهِ تدْعو لِبنائِهِ للمجهول ، أو لخفائِهِ نبْنيهِ للمجهول ، أو أنْ نخافَ منه أو أنْ نخافَ عليْه .

وبعد ، فإني أرْجو الله سُبْحانهُ وتعالى أنَّكُم إذا قرَأتُم القرآن الكريم ووَقَفْتُم عند كلِمة « هو » أنْ تتذوَّقوا ماذا تعْني « هو » ، هو الظاهر والخالق والبارىء والمصوِّر والمُعطي والمانِع والرافِع والخافِض وهو المُعِز والمذِلّ وهو الكريم واللطيف والقهار وهو الجبار والمُنْتَقِم .

لذلك ، أَعْطَوْا لإنسان أُميّ مُسَجِّلة وجَعَلوها معه دائِماً وسَجَّلوا كلامَهُ خِلال أسْبوع ، ثم أَفْرغوا هذه الأشْرطة على ورق وحَذَفوا الكلمات المتكرِّرة فإذا بِهذا الإنسان ضعيف الثقافة ، ومحْدود التَّفْكير والتجارب والخِبْرات ، حياتُهُ رتيبة فلا يتكَلّم بأكثر من مئة وخمسين كلمة في حياتِهِ اليومية ؛ ثم أعْطَوْا هذه المُسَجِّلة لإنسان يحْمل شهادة عُلْيا ولترافقه خلال أُسبوع في حِلِّهِ وتِرْحالِهِ ، وفي بيْتِهِ وعملِهِ ، وفي لِقاءاتِهِ وفي الطريق وفي السَّفر ، وأَفْرغوا هذه الكلمات على ورق وحذفوا الكلِمات المُتكرِّرة ،فوجدوا أنَّ الإنسان المُثَقَّف يتكلَّم في

حياتِه اليوْمِيَّة بألف وخمسمئة كلِمة ، وهذا تماماً كما لو أعْطَيْنا إنساناً لَوْنَين وقُلْنا أُرسُم هذا المنظر الطبيعي بريشَتِك من خِلال هذين اللَّوْنَين ، جمالٌ عجيبٌ جداً يغيب عن هذه اللَّوْحَة لِقِلَّةِ الألْوان ، أما لو كان معه مئة لوْن فسوف يُعْطي كلَّ زهْرةٍ لَوْنَها ، وكلَّ حقْلٍ لوْنَهُ ، والشَّفق الأحمر لوَنهُ بالتدْريج ، وللسماءِ زُرْقَتُها ، وللبحر ألْوان عديدة ، هذا فيما لو أعْطَيْناهُ ألْواناً كثيرة ، فالمُثَقَّف ثقافة عالِيَة يتحدَّثُ في أسْبوعِهِ أكثر من ألف وخمسمئة كلِمة .

وبعد ؛ لو طبَّقْنا هذه التجرِبة على مؤمن وأرجو أن أكون صادقاً ولن أُبالِغ إذا قلت : لو سَجَّلنا كلامَهُ خلال أسْبوع ، في إقامَتِهِ وعَمَلِهِ وفي بيْتِهِ وفي الطريق ، وفي لِقاءاتِهِ وسَهَراتِهِ وفي ندَواتِهِ وسفَرِهِ ، لَوَجَدْنا أنَّ كلمة الله تتكرَّرُ في أسْبوعِهِ آلاف المرات ؛ يقول : الله أكْرمني ، والله فضَّلَها عليَّ ، وكان فضْل الله عليك عظيماً ، والله هداني ورزقني هذه البِنْت ، والله أكْرمني بهذه الزوجة وبهذا العمل ووَفَّقَني ، وهذا كلامٌ حقيقي وواقع وهو شُعور المؤمن ؛ ضَعْ هذه المُسَجِّلة مع إنسان بعيد عن الدِّين يقول : أنا عَمِلت ، وفلان أعْطَيْتُهُ ، وفلان خيره مني ، دائِماً يتكلَّم عن ذاتِهِ وعلى عطاياه وعلى ذكائِهِ وتَفَوُّقِهِ ، وذلك لأنَّهُ محْجوبٌ عن الله عز وجل ، فَلَوْ كلَّفْنا طالِباً أنْ يُلْقي درْساً أمام أُسْتاذِهِ فهذا الطالب يفْقِد تسعين بالمئة من قُدراتِهِ ، لأنَّ كُلَّ عِلْمِهِ من أسْتاذِهِ ، فإذا أراد أنْ يتكلَّم بِعِلْم أُسْتاذِهِ أمام أسْتاذِهِ يَستحيي ، ومن هنا فالمُدَرِّسون أحياناً كثيرة يَفْقِدون جزءاً كبيراً من قُدراتِهم التدْريسِيَّة حينما يُلْقون درْساً أمام أُسْتاذِهِم ، وهذا شيءٌ طبيعي جداً ، أما المؤمن فلا يسْتطيع أنْ يقول : أنا في حضْرة الله تعالى ؛ يقول : أنا ذكيٌّ فالله عز وجل قادِر بِساعة وبِخَثْرةٍ بالدِّماغ أن

يسلبه كبره وغروره بل حياته ، والأهْل يتَرَجَّوْن كلَّ الأشخاص من ذوي النفوذ كي يُدْخِلوا أباهُم إلى مُسْتَشْفى المجانين ، وقد يكون أبوهُم من فلتات الزمان بالذكاء ، تتجَمَّد نقطة دم بالدِّماغ فيفْقِد ذاكِرَتَهُ ويُصْبِح يتكلَّم كلاماً فيه هذيان ، ويخافون من الفضيحة ويتوَسَّطون لِيُدْخِلوهُ إلى مسْتَشْفى الأمْراض العَقْلِيَّة فَكَلِمة : أنا ، فيها تطاوُل على الله وشِرْكٌ خفِيٌ .

مرةً ثانِيَة نقول : المؤمن ينسب النِّعمة إلى المُنْعِم وينتَقل من النِّعْمة إلى المُنْعِم ، أما الكافر فمحْجوب بِالنعمة عن المُنْعِم ؛ لذلك روي عن رسول الله ﷺ أنه كانت تَعْظُم عنده النِّعمة مهما دقَّتْ ؛ سأل الواعظ ابن السمّاك أحد الخلفاء الكِبار الذين لا تغيب الشمس عن بِلادهم وقد حمل كأس ماء ليشربها ، وهو هارون الرشيد الخليفة العباسي ، فقد نظر ذات يوم إلى سَحابةٍ فقال يخاطبها : اذْهبي أنى شِئْتِ فسوف يَأتيني خراجُكِ أينما نزلت أمطارك ، فهذا الخليفة طلب كأسَ ماءٍ فقال له ابن السمّاك : يا أمير المؤمنين! بِكم تشْتري هذه الكأْسَ إذا مُنِعت عنك ؟ قال بِنِصْفِ مُلْكي ، قال : فإذا مُنِعَ إخْراجُهُ ؟ قال : بِنِصْفِ مُلْكِيَ الآخر . فحينما يشرب الإنسان كأس ماء والطريق سالِك ، وحينما يُفْرِغُ هذه الكأس والطريق سالِك فليذكر أن هذه نِعْمَة كبرى لو مُنِعَها لاشْتراها بِكُلِّ ما يمْلِك ، وحين ينتقل الإنسان بِقُوَّتِه الذاتية دون أنْ يُحْمَل فهذه نِعْمةٌ كبيرة جداً ، فالإنْسان حينما يفْقِد الحركة يفْقِدُ كرامَتَهُ عند أقْرب الناس إليه ، وعند أعزِّهِم ، فأقْرب الناس إليه يتمَنى موْتَهُ ، يا رب! خَفِّف عنه : تقولُها زوْجَتُهُ وولَدُهُ ، فَمكانَتُك من حركتك ، من رِزْقِك ، فهم حوْلك مضْطَربون ، ولو حاوَلْتَ أنْ تأْخُذ مالاً منهم لَكُنْتَ ذليلاً ولَضَعُفَتْ مكانَتُك ، فمكانَتُك

من حركتِك وصِحَّتِك ومن عقْلِك ومالِك ؛ من منحك هذا المال ؟ ومن منحك هذه الصِّحة وهذا العقل ؟ إنه الله . والمؤمن كلَّما ارْتقى عند الله يعيش في نِعَمِ الله مغموراً بها سعيداً ، ومن عاشَ في نِعَم الله شاكراً ، زادَهُ الله نِعَماً وسعادة ، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم : ٧] .

فإذا أردت ضماناً لِبَقاء النِّعْمة وضَماناً لازديادها فاشْكر الله عليها .

في سورة الحديد يقول الله عز وجل : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ .

يُعَلِّق بعض المُفَسِّرين على هذه الآية فَيَقُول : الأول ليس قبْلَهُ شيء ، والآخر ليس بعده شيء ، والظاهِر ليس فوْقه شيء ، والباطِن ليس دونه شيء ؛ لا قبلَهُ ولا بعْدهُ ولا فوْقَهُ ولا دونه ، والأول والآخر اسْتِغْراقٌ للزمان ، والظاهر والباطِن اسْتِغْراقٌ للمكان ، والمكان مُسْتَغْرَق بالأول والآخر ، وهي حُدودُهُ فلَيْس قبلهُ شيء ولا بعْده ، فربنا سُبحانه وتعالى هو خالِق الزمان وليس فوْقَهُ شيء ولا تحْتَهُ شيء ، هو خالق المكان ، هذه الآية الدقيقة : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ .

اسْتَغْرقت حدود المكان والزمان ، فالله عز وجل خالِق المكان والزمان ولا يُقال متى كان الله ؟ لأنه خالق الزمان وقوله : ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تسْتَغْرِق الحقيقة الكامِلة ، قد تجد شخْصاً عنده بعض الحقيقة ، والآخر مُعْظم الحقيقة ، لكن الذي يَمْلِك الحقيقة كلَّها هو الله ؛ قد تَسْمع أحْياناً قصة انْتُقِيَ منها أهمّ الأحْداث المُهِمَّة

وَرُصِفَتْ بعضِها إلى جانب بعض ، لكنَّكَ أنت لا تعْلم كُلَّ مُلابِساتِ القِصة ، والله وحْده يَعْلم الحقيقة الكامِلة ؛ صَدِّق أوْ لا تُصَدِّق أنه ليس في الكَوْن كلِّه أحد يعْلم الحقيقة الكامِلة حتى ولا الأنبياء ، ولا يَعْرِف الله إلا الله ، والأنبياء أعلى الناسِ معْرِفَةً على الإطلاق ، ولكنّ الحقيقة الكاملة والمُطْلقة لا يَعْلمها إلا الله .

أحْياناً يُتَهّم إنْسان وهناك أدِلّة كثيرة تُؤيِّد اتِّهامَنا له ، ولكنّ الحقيقة الكامِلة عنه يَعْرِفها الله وحده ، فقد يكون بريئاً ، لِذلك من المحامد اللَّطيفة : « **الحمد لله على أنَّه موْجود ، والحمد لله على أنَّه يعْلم ، والحمد لله على أنّه يقْدِر ، والحمد لله على أنَّه مُطَّلع ، وأنّه سميع وبصير** » ، فهذا عزاء المؤمن وأكبر عزاءٍ له مهما كال له الناس التُّهَم ، هو اطمئنانه أنَّ الله يعْلم حقيقة حاله ، وما دام الله يعْلم فلا يهْتَمّ بِأَحَدٍ يتهمه ؛ وتراه يردد : **الحمد لله على أنَّه موْجود والحمد لله على أنَّه** يَعلم والحمد لله على أنّه يقدر والحمد لله على أنَّه مُطَّلِع وأنّه سميع وبصير ، فقَوْله تعالى : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ هذه الآية تُشير إلى أنّ الله تعالى فوْقَ المكان والزمان وهو وحْدَهُ يعْلم الحقيقة الكامِلة .

بعضُهم قال : إنه رأى الله من وراء كلِّ شيء ، وبعضهم قال : إنه رأى الله فلم يرَ أحداً غيره في الوُجود . وهذه كُلُّها أقْوال تُشير إلى هذه الحقيقة العُظْمى ، حقيقة أنَّ الله سُبْحانه وتعالى مع كلِّ مخْلوق ، لِذلك قوْلُهُ تعالى :

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : ١] . تعْدِل ثُلُث القرآن ، والإنسان لو ألْقى كلِمة وسَجَّلها واسْتَمع إليْها ، يكون معه ما يُسَمى بالنقد الذاتي ، والإنسان إذا جلس مع أخيهِ المؤمن يستنصحه ؛ الأخُ المؤمن

مِرْآةٌ لأَخيهِ ، فَهذا سيِّدُنا عمر بن عبد العزيز اخْتار أحد العلماء الأتْقِياء الوَرِعين وجَعَلَهُ مُسْتَشاراً له وكان اسْمه عمرو بن مهاجر فقال له : إذا رأيْتني قد ملت عن الحق فَضع يدك في تلبابي ثم هُزَّني ثم قُل : ياعمر ما تصنع .

قد تجد أخاً يُؤْثِر المُجامَلة وآخر يؤْثر المُناصَحة ، والحقيقة أنّ الحق وسطٌ بينهما ، فإذا لم يكن عند المرء مُجاملة إطْلاقاً فهو مُنَفِّر ، وإذا لم يكن عنده النصيحة فهو منافق ، فأنت اعْتَدِل بينهما والزم جانب المُجامَلَةِ أحْياناً ، فإذا قال لك : الحرارة أربعون وكانت خمساً وثلاثين فلَكَ أنْ تُجامِلَهُ ويُمْكِنُك ألا تُسَفِّهَهُ ، إذْ إنَّها لا تُقَدَّم ولا تؤخَّر فهناك أشياء كثيرة تُلْقى في المجالِس يخْتَلِفون عليها ويتشادّون بسببها ، وهي لا تُقَدَّم ولا تُؤخَّر فَيُمْكِنُكَ في هذا أنْ تُجامِل . فإذا قال لك : هذه الساعة غالِيَة مثلاً فقل له : لا عليْك ، ولعلها كذلك ، ففي موضوع الدنيا لك أنْ تُجامِل ، أما إذا جرى هناك طَرْحٌ خِلاف الحق فَيَجب أنْ تنْصَح وألا تُجامِل ، فنحن لو كُنا يُحب بعضنا بعْضاً كما أراد الله عز وجل لَكُنا مُتناصِحين ، وهكذا ينْبغي أن نكون . وكل من عزا شيئاً من قُدراتِهِ لِذاتِه ينبغي أنْ نتلَطّف إليه ، ونقول له : لا تقُل هكذا ، بل قُلْ : هذا بِتَوْفيق الله وبِتأْييد الله ؛ حدّثني مرةً أخ كريم وهو طبيب يعمل في المُسْتَشْفى ، قال لي : « إني أنْظر إلى النِّساء المُمَرِّضات وكَأَنَّهُنّ رِجال » فوجَدْت في هذا الكلام كِبْراً ؛ إذ يعني أنه ليس لأنوثتهن عليه تأْثير ، فلا يجد ما يمنعُهُ أن يقلب نظره في إحداهن ، فقلْتُ له : ما بال سيِّدنا يوسف عليه السلام يقول :

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣٣] .

لقد أمرك الله أنْ تَغُضّ بصرك عن محارِم الله ، فلا تَقُل : أنا عندي إرادة قَوِيَّة ، وإني أحبّ الله ورسوله ، وأنا مُتَمَسِّك ولا أتَزَعْزَع ؛ قُلْ : ربي جلّ جلاله أكْرمني ومكَّنني من غضِّ البصر ، ومنحني هذه النِّعْمة ولا تَقُل : أنا أدْعو إلى الله ، إنما قُل : الله شَرَّفني وسمح لي أن أدْعو إليه ، فَكُلَّما وحَّدْت الله وتبرَّأت من حولك جاءت عِبارَتُك أحْلى من العسَل ، وكلما غفلْتَ عن الله جاءتْ عِبارَتُك أَمَرّ من الحَنْظل ، فالتوحيد مُريح يبعث الاطمئنان النفسي والسكينة لصاحبه ، وأنا لا أقول لك : تواضَع فهذه هي الحقيقة ، فأنت لا شيء أبداً أمام الله سبحانه ، فالله هو كلّ شيء ؛ هو الذي أعْطاك هذا الذكاء ، ومنحك كل ما أنت به من نعمة .

ذكر لي أحد الإخوة أنَّهُ بِذكاءٍ نادِر بحسب زعمه ؛ تمكَّن ذات مرة من أنْ ينْجو من ورْطة كبيرة جداً ، فقلت له : هذا غلط ، وإنما قُل : بِتَوْفيق الله ، والله نجاني وعافاني ، أما إذا قُلْتَ بِذكاءٍ كبير فاحذر ، فالله غيور فأنت حينما تعْزو شيئاً إلى ذكائِك وقُدْراتِك وإنْجازاتِك فإن ربنا عز وجل لأنه يُحِبُّك فسوف يُؤَدبك ، فيَسْحَب من تحت قدمَيْك البساط ، قال أهل الأمثال في هذه المناسبة : « **رقصت الفضيلة تيهاً بِفَضْلِها فانْكَشفت عَوْرَتُها** » . فإذا أحْسن الإنسان سكت ولم يُحدِّث أحداً كي يبْقى مرموقاً موقراً ، ولكنه إذا حدَّثهم عن فعله لِيَسْتَعْلِيَ فقد أساء ، أما إذا أُحْسِن إليك فلا ينْبغي أنْ تسْكُت ، فهذا من الجحود ، وكان عليه الصلاة والسلام يُحَسِّن الحسنَ ويُصَوِّبُهُ ، ويُقَبِّح القبيح ويُوَهِّنُهُ ، أبو أيوب الأنصاري نزع من لحية النبي ﷺ ريشة وهو يطوف بين الصفا والمروة ، فقال ﷺ : « نزع الله عنك ما تكره » .

أقول لكم نصيحة : إذا فعَلْتَ خيراً فينبغي أنْ تنْساه ، وإذا فُعِل معك خير ينْبَغي ألا تنْساهُ أبداً ، وهذا من أخلاق المؤمن ، قال تعالى :

﴿ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٣٧] .

فهناك من لدَيْهِ رغْبة في إنْكار الفضْل وطَمْسِهِ وإغْفالِهِ ، أما المؤمن فلا يفْعلُ هذا ، فإذا فعلْتَ مع الناس معْروفاً يجب أن تشْعر أنَّك ما فعلْتَ معهم شيئاً ، فهم حينما سَمَحوا لك أنْ تفْعَل لهم هذا المعْروف تفضَّلوا عليك ومكَّنوك من عمَلٍ صالح ، وبعض العارِفين بالله يقول : هذا الفقير الذي قبِلَ أنْ يَأْخذ مني مكَّنَ لي هذا العمل في الأرض وإلا فأنا محْرومٌ منه ، ويُعْطيه ويشْكُرُهُ ، والذي يأخذ ينبغي ألا ينْسى ، والذي يُعطي ينْبغي أنْ يَنْسى ، كلُّ هذا سُقْتُهُ تمْهيداً إلى أنَّك إذا تحدَّثْتَ أمام إخْوانِك ولم تعْزُ المحامد والفضائل إلى أصْحابِها ، يجب أنْ ينْصَحك أصْحابُك بأن تذكر الفضل لأهله ، وإذا فعلت خيراً فقُل هو الله المعطي والمانع والمعز والمذل ، والإنسان كلما تأمَّل في نِعَم الله عزَّ وجل زادَتْ محَبَّتُهُ لله ، وروي في الحديث الشريف : « **أحِبوا الله لِما يَغْذوكم به من نِعَمِه ، وأحِبوني لِحُبّ الله ، وأحِبوا آل بيْتي لِحُبي** » .

فمُلَخَّص هذا البحث ؛ راقِبْ نفْسَك حينما تتكَلَّم ؛ هل تقول أنا أم تقول الله ؟

أُذَكِّركم بِما أقولُهُ لكم كثيراً : أنت في كلِّ دقيقةٍ بين درْسَين بليغَيْن في كل منهما عظة بليغة ؛ درْسِ بَدْر ودرْسِ حُنَيْن ، فَصَحابة رسول الله ﷺ في بَدْرٍ افْتَقَروا إلى الله وقالوا : « الله » فَنَصَرهم الله عز

وجل وتَوَلاهُم ، وهُمْ هُمْ ، ومعهم النبي ﷺ ، وفي حُنين قالوا : لن نُغْلب من قِلّة ، فَتَخلى الله عنهم قال تعالى :

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة : ٢٥] .

فمُلَخَّصُ المُلَخَّص : إذا قُلْتَ أنا تخَلى الله عنك ، وإذا قُلت الله تولاك ، فأنت بين التوْلِيَة والتخْلِيَة ، لكن أحْياناً بعض الناس يقول : الله ، بلسانه ويَقْصد حقيقة نفْسَهِ ، فهذا توْحيد مُغَلَّف بالشرك ، وهناك شِرك مُغَلَّف بالتوحيد بين المؤمنين ؛ فالمؤمن مُتواضِع لله عز وجل قَلْباً وقالِباً شكْلاً ومضْموناً ومُحْتَوى وإطاراً فهذا هو المؤمن .

فَلِذلك « **هو** » يجب أنْ تُديرَها على لِسانِك كثيراً ؛ **هو** الذي أعْطاني ، وهو الذي خلقني ، وهو الذي صَوَّرَني في بطْن أمي وأحْسَن خلْقي ، وهو الذي أعْطاني هذا الشكل الحسن ، والنبي عليه الصلاة والسلام كان يقول : « **اللهم! حسَّنْت خَلْقي فحسِّن خُلُقي** » [رواه احمد] ، جعَلَك كامِلاً وجعَلَ لك السمْع والبصر والفؤاد وأجْهزة تعْمل بانتِظام ، فَيَجب أنْ تقول في اليوم : « **هو** » آلاف المرات ، وهو يعْني الله لأنَّهُ الحقيقة العُظمى في الكون ، والحق الصارخ وهو الذي ليس قبْله شيء ولا بعده ولا فوْقه ولا تحْتهُ وهو يعْلم كلَّ شيء ؛ جمع الزمان والمكان وكمال العِلم .

أسْماء الله الحُسنى تشْغل حيِّزاً كبيراً من حيِّز الإيمان والعقيدة وأصْل معرفة الله أنْ تعْرف أسْماءه الحسنى وصِفاتِه الفُضْلى ، وحديثنا

عن أسْماء الله الحُسْنى حديثٌ مُقْتَضَب ، لأنّ الحديث عن الله عز وجل كما قال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف : ١٠٩] .

قد يسْتَخْدم الواحد منا دواة حِبر عامَيْن أو ثلاثة وكانوا قديماً يبيعون الحبر بعبوات سعة لتر ، وأعْرِف أسْرة من نَشْأتِها إلى عشْرين أو ثلاثين سنة وهذا اللتر يكْفي كلّ أفْراد الأسْرة لعام أو أكثر ، فكيف إذا كان هناك من الحبر خمسة أمْتار مُكَعَّبة فكم عالماً يكفي ؟ وكم أسرة تستعمله ؟ . . . قال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ .

فانظر إلى سعة علم الله تعالى .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان : ٢٧] .

فنحن نتحدَّث عن أسْماء الله الحُسنى حديثاً يسيراً ، لكن الله سبحانه وتعالى يعرف صدق التوجه فنرجو خلوص النيات ، وربنا سبحانه لن يحيط به حديث مهما تفرّع وطال ، ومعْرِفةُ الخلق له سبحانه معْرِفةٌ نِسْبِيَّة ، وحسبنا صدق التوجه والله الموفق .

* * *